20

أمّةٌ تُواجهُ عَصْرًا جَديدًا

تمهيد: العَالَمُ يَسْأَلُنَا: مَنْ أَنْتُمْ؟ مَا أَنْتُمْ؟ مَا هِيَ رِسَالَتُكُمْ الّتي تُريدُونَ أَنْ تُبَلّغُوهَا إلى العَالَم؟ مَا هُوَ الإنْسَانُ الّذي تُريدُونَ أَنْ تَنْحتُوهُ ووِفْقًا لأَيّ مَثَلٍ أَعْلَى أَوْ أَيّ مِثَالٍ؟ مَا هِيَ أُسُسُ ثَقَافَتِكُمْ ومُقَوّمَاتهَا؟ أهِيَ رُوحيّةٌ أَمْ عَقْليّةٌ؟ إيمَانيّةٌ أَمْ عَلْمانِيّةٌ؟ مَا هُوَ المَصيرُ الّذي تَرُومُونَ صُنْعَهُ لِمُجْتَمَعاتِكُمْ؟ مَا وَظيفَتُكُمْ ومَا مَعْنَاكُمْ؟ وتَتَعَدّدُ الأَسْئِلَةُ، وتَخْتَلِفُ أَلْفَاظُهَا ومَعْنَاهَا وَاحِدٌ.

محمود المسعدي، الأعمال الكاملة، مج. 2 ص 121

منذُ القِدَم، كَانَ الإنْسَانُ يَحْلُمُ بِعَهْدٍ يَجْتَمِعُ فِيهِ البَشَرُ عَلى كَلِمةٍ سَوَاءٍ، فِي تَصْريفِ شُؤونِهِمْ ومُعالَجَةِ مَشَاكِلِهِمْ. فَلَمّا أَشْرَفَتْ الإنْسَانِيّةُ على مَا يُشْبِهُ هَذا العَهْدَ، إذَا هِيَ تَتَوَجّسُ مِنْه خِيفَةً، ذلِكَ أنّ الوَاقِعَ، دَوْمًا، أكثَرُ تعْقِيدًا مِنَ الحُلْم. فالّذي يُسَمّى اليَوْمَ بالعَوْلَمَةِ يَقُومُ، فِعْلاً، عَلى جُمْلَةٍ مِنَ العَوَامِلِ، بَعْضُهَا مُنْعِشٌ للحُلْم، وبَعْضُها مُرْبِكٌ للْواقِع؛ تَضَافَرتْ هَذِهِ وتلْكَ، فَغَيّرَتْ نَهْجَ المُعَامَلاتِ بيْنَ الدّوَلِ، ونَمَطَ العَلاقَاتِ بيْنَ الأمَمِ، ووَسَائِلَ الاتّصَالِ بيْنَ الأقْطارِ.

تتوجّس منه: تتخوّف

وَمِنْ هَذِهِ العَوامِلِ، آنِيّةُ انْتِشارِ المَعْلوماتِ، وخُضُوعُ أحْوالِ البَشَرِ، جَميعًا، لِسيْطَرَةِ الشّهَادَةِ المباشَرَةِ، سَمْعِيّةً كَانتْ أوْ بَصَريّةً. هَذِهِ العَوامِلُ التّقْنِيّةُ، وغَيْرُهَا، هِيَ الّتي سَهّلَتْ تَرابُطَ الاقْتِصَادَاتِ الوَطَنيّةِ، وجَعَلَتْ قَوانِينَ السّوقِ يَنْتَشِرُ مفْعُولُها، حَتّى شَمِلَ العَالَمَ أجْمَعَ... وإنّ هَذِهِ التّطوّراتِ التّقْنِيّةَ، وهَذِهِ التّحَوّلاتِ الاقْتِصادِيّةَ، هِيَ الّتي مَهّدَتْ لِقِيامِ مَرْجِعِيّةٍ عَالميّةٍ، إلَيْهَا يَرْجِعُ البَتّ في الاخْتِيارَاتِ الكُبْرَى المتَعَلّقَةِ بِشُؤونِ الاقْتِصادِ والمالِ. ولَكنّ نُفُوذَهَا أخَذَ يَتّسِعُ عَامًا بعْدَ عَام، إلى أنْ أصْبَحَ يَمْتَدّ إلى مشَاكِلِ الأمْنِ، وقَضَايَا الحَرْبِ والسّلْم، ومَا يَتَوَلّدُ عَنْ ذلِكَ مِنْ مُضَاعَفاتٍ، يَرْغَبُ في التّحَكّم في مَسَارَاتِهَا، إعْلاَنًا لِمَبادِئَ مُعْلَنَةٍ، ولَكنْ أيْضًا حِمَايَةً لِمَصالِحَ خَاصّةٍ، أوْ طَلَبًا لمَكاسِبَ لاَ يُجْهَرُ بِهَا... إنّنَا نَنْظُرُ إلى العَوْلَمَةِ نظْرَةً شُمُوليّةً. ومِنْ وَاجِبِ الأمَانَةِ الفِكْريّةِ أنْ نُؤَكّدَ أنّ العَوْلَمَةَ فُرْصَةٌ تَاريخيّةٌ أمَامَ شُعوبِنَا، قَدْ تُساعِدُهَا عَلى القَفْزِ عَلَى الهُوّةِ الشّاسِعَةِ الّتي تَفْصِلُها عنْ كَوْكَبَةِ الأُمَمِ المصنّعة. ولكِنّهَا، أيْضًا، تَنْطوي عَلَى مَخَاطِرَ جَمّةٍ، لَيْسَ أيْسَرُهَا ذَوَبَانَ الشّخْصِيّةِ، وانْحِلالَ رِبَاطِ الأمّةِ، الّذي هُوَ اللّغَةُ والثّقَافَةُ.

الشّاذلي القليبي، أمّة تواجه عصرا جديدا، دار البستان للنّشر – تونس 2000، ص ص 66-67

تعريفات

أعـــلام:

المؤلّف: الشّاذلي القليبي: وُلد بتونس سنة 1925، أوجز سيرته الذّاتيّة في قفا كتابه «أمّـــة تواجه عصرا جديـــدا» فقال: «علّمتنـــي «الصّادقيّة» العرَبيّـــةَ وثقافتها وألهمتني «الصّربون» الاعتزاز بتراث بلادي وأمّتي وأعطتني «الأســـتاذيّة» فرصة مزيد التّعلّم أمّا «الإذاعة» و«الإعلام» فقد وجدت فيهما منفذا إلى الآخرين. وأمّا «الشّؤون الثّقافيّة» فقد أعطتني وسائل عديدة لخدمة ثقافة تونس وتراثها. وأمّا «الأمانة العامّة» فمكّنتني من تجربة فريدة أفهمتني مدى بعد الشّـــقّة بين الواقع والأمل، من مؤلّفاته: «الثّقافة رهان حضاريّ»(1978) و«من قضايا الدّين والعصر» (1979)...

الفهم والتّحليل

1 - قسّمْ النّصّ وفق أحد المعياريْن التّاليْن:

التّعميم – التّخصيص / التّركيب – التّفكيك

2 - قابـــل الكاتب بـــين معجمين يمثّلان راهن الأمّة ومأمولها: اســـتخرجْهما مبرزا دورهما في تأكيد رؤية القليبي.

3 - اطّردت أدوات التّفســـير في النّـــصّ: حدّدْها وبيّن دورها في طريقة عرض الكاتب للتّحوّلات الطّارئة على المجتمعات عامّة والواقع العربيّ خاصّة.

4 - ما هي العوائق الّتي تحول دون عبور الإنســـانيّة مـــن فكرة الرّغبة في التّواصل والحوار الحضاريّ بينها إلى ذوبانها وانحلالها في الآخرِ المهيمن اقتصاديّا؟

التّفكير وإبداء الرّأي

حرّرْ فقرة تبدي فيها موقفك من التّطوّر السّلبيّ للعولمة.

نافذة لغويّة

النّعْتُ

1 - قَدْ تُسَاعِدُنَا عَلى القَفْزِ علَى الهُوّةِ الشّاسِعَةِ الّتي تَفْصِلُنَا عنْ كوْكَبَةِ الأمَمِ المُصَنّعَةِ.

الهُوّةُ	[الشّاسِعَةُ]	[الّتي تفْصِلُنَا عنْ كَوْكَبَةِ...]
↓	↓	↓
منعوت	نعت مفرد	نعت مركّب موصولي

وظيفة النّعت توضيح المنعوت إذا ورد معرفة كما هو الحال في المثال السّابق، فالكاتب يفصّل الهوّة موضّحا شساعتها وكونها تفصل بين الواقع العربيّ وكوكبة الأمم المصنّعة.

النّعت من الوظائف المحقّقة للتّفسير بـ:

- التّوضيح متى كان المنعوت معرّفا.
- التخصيص كلّما ورد المنعوت نكرة.

* إنّ النّعوت مهما تنوّعت أشكالها مفرد، مركّب حرفيّ، مركّب اسميّ، (مركّب إضافيّ، مركّب موصوليّ، مركّب شبه إسناديّ)، مركّب إسناديّ... فهي من أدوات التّوكيد بالزّيادة في المعنى الأصليّ.

سطّرْ النّعت في الجملتين التّاليتين وبيّن وظيفته التّفسيريّة:

1 - كَانَ الإنْسانُ يَحْلُمُ بِعهْدٍ يَجْتمِعُ فيهِ البَشَرُ عَلى كَلِمَةٍ سَواءٍ.

2 - إنّنا ننْظُرُ إلَى العَوْلَمَةِ نظْرةً شُموليّةً.

إغناء

... فقد داهمت مقتضيات الحياة العصريّة مجتمعاتنا العربيّة في موجة عارمة غمرت جميع مقوّماتها، وأدخلت عليها طوعا أو كرها تغييرات جوهريّة، بعضها جذريّ وتجديد ثوريّ حقيقيّ وبعضها في الظّاهر ثورة وهو في الحقيقة انتكاس تاريخيّ رأسا على عقب. بل تأمّل ذلك مثلا في ميدان الاقتصاد وأوضاعه ومؤسّساته وأنظمته وأنشطته وحركاته ومسالكه وحرفه وصناعاته كيف كانت في بلداننا وكيف أصبحت مجاراة للاقتصاد العالميّ وتفاعلا معه. وتأمّل في ميدان الاجتماع والطّبقات الاجتماعيّة ونوعيّتها وجنس الرّوابط بينها وكيفيّة تراكبها وتفاعلها وفعل التّيّارات الحياتيّة المؤثّرة فيها وما طرأ مثلا على نظام الأسرة وعلى الضّوابط والرّوابط الأخلاقيّة والعاطفيّة والقانونيّة والاقتصاديّة الّتي ينبني عليها هيكل الأسرة... وعلى هذا النّسق ظننّا أنّنا قد جدّدنا – في شكل من التّجديد متّصل بصميم كياننا الثّقافيّ – نظامنا الاقتصاديّ والاجتماعيّ حين اقتبسنا من حضارة الغرب التّصنيع والتّكنولوجيا والاشتراكيّة، وأنّنا طوّرنا أوضاعنا ومناهجنا الفكريّة حين أخذنا عن تلك الحضارة طرق البحث العلميّ الّتي ابتكرتها، ونقلنا عنها تصوّرها للمنزلة البشريّة كما بأدبها أحسّتها ووصفتها، وبفلسفتها محّصتها. فتلك الحضارة تبتكر وتصنع ونحن نستورد ونستهلك.

محمود المسعدي، الأعمال الكاملة، مج 2، ط. 1،
دار الجنوب للنّشر، تونس 2002، ص ص 118-119

مُواصفاتُ الفقرة الحِجاجيّةِ والتّفسيريّةِ

تتكوّن الفقرة من مجموعة من الأفكار (معطيات، معلومات، حقائق، وقائع...) يمكن تصنيفها حسب دورها إلى:

1 - فكرة رئيسيّة (ناظمة): وهي الفكرة الّتي من أجلها تبنى الفقرة، ذلك أنّ الهدف من بنائها التّوسّع في هذه الفكرة وبلورتها. لذلك لا تتضمّن الفقرة الواحدة سوى فكرة رئيسيّة واحدة؛ وكلّ تغيّر يطرأ على هذا الصّنف يقتضي انتقالا إلى فقرة جديدة.

2 - أفكار – حجج : وهي توسّع الفكرة الرّئيسيّة وتبلورها إمّا للإفهام (لاسيّمَا في النّصّ التّفسيريّ) أو للإقناع (في النّصّ الحجاجيّ). وفي غياب هذا الضّرب من الأفكار تكون الفكرة الرّئيسيّة مجرّد تقرير أجوف.

3 - الأمثلة: يختلف المثال عن الفكرة – الحجّة (رغم أنّه أحيانا يُعتمد بذاته حجّة) في كون دوره الرّئيسيّ دعم الأفكار الواردة في صيغة مجرّدة، فهو واقعة ملموسة تقوّي الأدلّة والمسار الحجاجيّ أو التّفسيريّ. ويمكن أن يساق مثال عن كلّ فكرة – حجّة، كما يجوز الاستغناء عن الأمثلة تماما إذا ما ارتأى منتج الفقرة أنّ الأفكار الحجج المجرّدة كافية للبرهنة أو التّفسير.

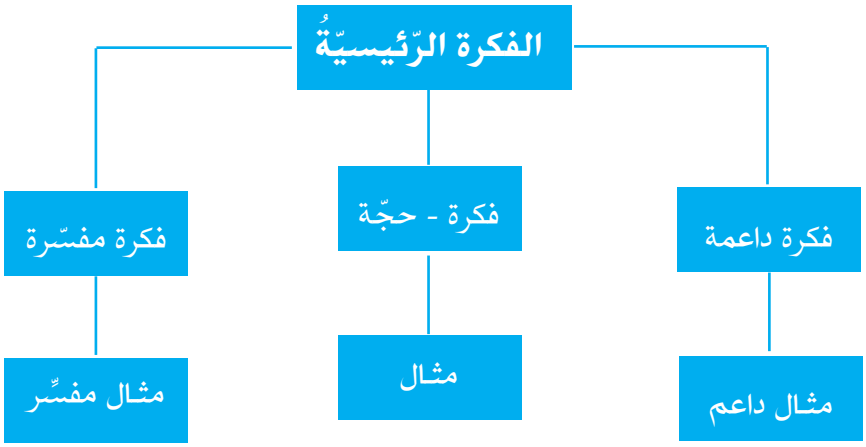

إنّ بناء الفقرة هذا يقتضي التّنويع في الأفكار الحجج والأمثلة، فمن المفروض أن تقدّم كلّ جملة معطى جديدا يزيد الفكرة الرّئيسيّة توضيحا دون الوقوع في التّكرار أو التّمطيط. ويمكن أن تكون الجملة الأخيرة من الفقرة استنتاجا، كما يمكن أن تخلص من فكرة رئيسيّة إلى أخرى، مع وجوب مراعاة الاتّساق بين كلّ الأجزاء. بيد أنّ هذا التّمشّي المشار إليه يظلّ نموذجيّا لأنّ منتجي النّصوص قد لا يحترمون هذه المراحل فيتغيّر ترتيب مكوّنات الفقرة فتكون:

1 - الفكرة الرّئيسيّة بعد الفكرة الدّاعمة، فهي استنتاج للمسار البرهانيّ، وبعد الفكرة المفصّلة تكون نتيجة للمسار التّفسيري.

2 - الفكرة الرّئيسيّة ضمنيّة غير معلنة، وفي هذه الحال يجب أن تكون الأفكار – الدّاعمة ذات قوّة تفسيريّة وبرهانيّة كافية لتمكّن القارئ من استنباطها.

وينطبق الأمر ذاته على الأمثلة إذ يمكن أن يكون المثال:

1 - منطلق التّفسـير أو البرهنة فيرد قبل الفكرة ويقتضي عناية فائقة بتحليله حتّى يُفضيَ إلى الفكرة في سلاسة واضحة.

2 - دعما وتوضيحا لما قرّرته الفكرة في صيغة مجرّدة فيرد بعدها.

العلاقات بين الأفكار

تختلف هذه العلاقات حسـب مقاصد منتج الفقرة وطبيعتها (حجاجيّة، تفسـيريّة...) فيمكن أن يكون بناؤها على التّقابل بين طرفين ممّا يؤدّي إلى ترجيح أحدهما أو تجاوزهما معا؛ كما يمكن أن يعبّر المتكلّم عن قبوله وتبنّيه أمرا ما قبل الانطلاق في التّوسّع في الفكرة المدافع عنها (يكون ذلك مجديا إذا كان من العسير على القارئ قبول الفكرة الرّئيسـيّة، يجب عندها تهيئته لذلك عبر تنازل ظرفيّ). ويمكن أن تبنى الأفكار بناء «منطقيّا» (سبب – نتيجة) أو بناء «استقرائيّا» فيعمد منتج الفقرة إلى مراكمة معطيات معيّنة تنتهي بفكرة عامّة هي الفكرة الرّئيسـيّة. ولمّا كانت الفقرة - بوصفها وحدة من وحدات النّصّ – مكوّنة من تتابع الجمل، فإنّه من الضّروريّ توفّر روابط وأدوات تنظّم العلاقات بين مختلف جمل الفقرة وتحفظ اتّسـاقها.